المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر

من ينابيع الثقافة
= ٢١ =

شخصية الرسول

صلى الله عليه وسلم

في ضوء المقاييس الإنسانية

تأليف
الدكتور/ عبد الحليم عويس
الأستاذ بالجامعة

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

حقوق الطبع والنشر محفوظة للجامعة

تقـــديم
لمعالي مدير الجامعة

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشرف الأنبيـاء وخـاتم المـرسلين نبينـا محمـد وعلى آلـه وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد .

من لوازم الإيمان إعتقاد أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الأسـوة الحسنـة والمثل الأزكى في حياة المسلم . . وليست القضية في الالتزام بسنته القولية والفعلية والتقريرية وحسب، بل في أن يقوم هذا الالتزام على حبّ وتقدير وولاء مطلق . .

وشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام هى أعظم شخصية في التاريخ تستأهل الحبّ الكامل والاتباع التام .

وقـد قدّم المسلمـون الأوائـل من صحابة وتابعين أعظم النمـاذج البشـريـة في ظل الحب الكـامل والامتثال الأعلى والطاعة المطلقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . إن علاقة المسلمين برسـول الله كانت امتثـالا نابعـا من قلوب عامـرة

بالحب فياضة بالإيمان، مستعدة لأن تضحى في سبيله بكل غال ورخيص.. فهم يقـونـه بأجسـادهم في المعارك لكيلا يصاب بأذى.. يمشون أمامه ومن خلفه حتى لا يستطيع عدو غادر أن ينـال منـه، وهم يضعون كل ما يملكون طوع أمره يأخـذ منـه ـ وهم يجلسون في دروسه منصتين خاشعين..

ويقـول واحد منهم والله ما أحب أن أكون على فراشي الآن ورسول الله تصيبه شوكة!! فحياته أهون عنده من أن تحفظ في سبيل شوكة تصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم..!!

وهل عرف التاريخ إمرأة يموت زوجها وأبوها وأخوها في معركة واحدة، فلمّا علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير تقول : (كل شيء بعدك جلل) ـ أى أن كل خطب دونك هيّن ؟!!.

فأي علاقة هذه التي ربطت المسلمين برسول الله صلى الله عليـه وسلم ؟!! ـ إنها ـ بيقين أسمى علاقة إيمانية تنبع من أعماق القلوب.. إنها العلاقة التي تجعل الإبن يتقدم مطمئن الضمير واثق القلب ليقتل أباه الكافر.. أو ليعرض قتل أبيه المنافق..

وهى العـلاقة التي تجعل الزوج يقتل زوجته التي تؤذى

رسول الله بالقول . .

إنها - بإيجاز - علاقة تسمو على كل العلاقات التي عرفتها البشرية .

ونحن المسلمون في حاجة ماسة إلى إعادة تصحيح علاقتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون علاقة اتّباع وإيمان والتزام كامل بسنته . . وبحب كامل لشخصيته العظيمة في القلوب !!

لقد كان رسولنا عليه الصلاة والسلام فى اعتقادنا أعظم شخصية عرفتها البشرية . . وهكذا أثبت الأعداء المنصفون منهم والباحثون المخلصون .

وفي هذا البحث الوجيز يقدم لنا الكاتب الإسلامي الدكتور عبدالحليم عويس (الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحليلا علميا وتاريخيا لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام أمام المقاييس الإنسانية العامة . . تلك المقاييس التي تتعامل مع شروط العظمة الإنسانية .

وبهذه المقاييس الإنسانية العامة في تقدير الشخصية التاريخية انتهى الباحث إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو أعظم شخصية عرفها التاريخ . .

فشكرا للباحث الكريم وجزاه الله خيرا ونفع بهذا الجهد عامة المسلمين . والصلاة والسلام على أفضل خلق الله محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تبعه وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

مدير الجامعة

عبدالله بن عبدالمحسن التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

- إلى هؤلاء الذين قدموا الكثير عن محمد (الإنسان) (رسول الحرية والعدالة) على حساب محمد النبىّ (رسول الله) . . .
- وكـأنهم تصـوروا أن محمداً الإنسان يمكن أن يغنى عن محمد النبىّ، أو ربَّما توهموا أن محمداً النبىّ قد يتناقض مع مقاييس (محمد) العظيم الإنسان .
- إلـى هؤلاء ـ هداهـم الله ـ أقـدم هذا البـحـث، مبينـاً ـ بوضوح ـ أن محمداً الإنسان (محرر الإنسانية) يتعانق مع محمد النبى (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى انسجام وتآزر. . . وفى نسيج واحد، أمام كل المقاييس الموضوعية والإنسانية المحايدة. . .
- وسلام على محمد الإنسان النبىّ. . . وأفضل الصلاة والسلام .

د / عبدالحليم عويس

تمهـيد :

تباينت النظرة إلى «مقاييس الشخصية» الكاملة والنموذجية خلال الأحقاب المتطاولة في التاريخ، من عصر إلى عصر، ومن أمة إلى أمة أخرى .

ومما لا ريب فيه أن المقاييس الغالبة لدى هذه الأمم كانت مقاييس ذاتية تستقى أركانها من فكرها المسيطر، ومن عقائدها المنتشرة، ومن طبيعة المرحلة التاريخية التي تمثلها، ومن مجموعة الظروف البيئية والنفسية والعملية الأخرى .

وقلما برزت في مسيرة التاريخ (مقاييس عامة) للشخصية المتكاملة التي تعبر عن الخصائص الإنسانية العالية، وتحمل في إطاريها النظرى والتطبيقي تلك الصورة المثلى، أو الإنسانية النموذجية، والتي يجب أن تكون القدوة المتألقة لمجموع الأمم ولسائر مراحل التاريخ .

ولقد حاول كثير من المتفلسفين «والطوباويين» أن يتخيلوا نماذج فردية، وأطراً جماعية، لكنهم قد افتقدوا في سائر ما تخيلوا ـ الفهم الحقيقي للإنسان، فارتفعوا به أحيانا ـ وبالمجتمع الذى تخيلوه له ـ إلى مستوى المثالية الملائكية

التي لا علاقة لها بالجانب البشرى في الإنسان، وهبطوا به في أحيان أخرى ـ إلى مستوى غريزى ـ فردي أو جماعي ـ يسلب الإنسان كل خصائصه الروحية، وأشواقه العليا .

وبالتأكيد فإن لنا أن نتوقع أن يكون أصحاب العقائد والمذاهب ـ في التاريخ ـ قد وضعوا مقاييسهم للشخصية النموذجية، على ضوء الأسس التي تقوم عليها عقائدهم ومذاهبهم .

فعند البوذي لابدّ أن تكون الشخصية النموذجية، هي الشخصية التي تطبق تعاليم البوذية تطبيقا كاملا، بصرف النظر عن محاكمة هذه التعاليم إلى منطق «القيم العامة» ومقاييس الحق والعدل، وإلى ماهو أهم ، وهو طبيعة الفطرة الإنسانية ، بتوازنها وتكاملها .

وعند اليهودىّ، سنجد اليهودىّ الكامل هو ذلك الذى يطبق التوراة وإضافات «الحاخامات» تطبيقا حرفيا، دون النظر إلى (المقياس العام) الذى نستطيع به معرفة الصحيح والباطل من الأفكار وإلى مدى ملاءمة هذه الأفكار للطاقة الإنسانية .

ونستطيع أن نعمم ذلك على النصرانية، وعلى بعض المنحرفين في تصورهم للإسلام، وعلى «البرجماتية»

النفعية، وعلى العنصرية القومية، وعلى بقية أصحاب الملل والنحل .

ولم يقع إلا نادرا في التاريخ أن برزت (المقاييس العامة) المحايدة والموضوعية، وحتى عندما كان يقع ذلك، وتتوافر فيه الرغبة الصادقة في التقويم الموضوعي فإن الموروثات الفكرية والخلفيات الاجتماعية كثيرا ما كانت تحول دون استقامة الموازين .

ولكن مع تقدم المنهج العلمي، وشيوع موازين النقد التاريخي المقارن، ومع انفراج الضغوط الكنسية، وتقدم وسائل المعرفة، وسهولة تبادل الأفكار، والوصول إلى مصادرها الصحيحة . . بدأت تنحسر الموجة الشخصية ـ بقدر ما ـ وبدأت تظهر بين الفينة والفينة ومضات المقاييس الموضوعية وكأنها تخرج ـ ظافرة ـ من بين ظلمات الجهل والحقد والعنصرية التي تراكمت في مراحل متطاولة من التاريخ !!

ومن هنا، فنحن نحترم ـ بخاصة ـ تلك النظرات والأحكام التي مدّت الطرف إلى سائر الآفاق، ودرست دراسة موضوعية مقارنة، ونحن نعتبر رأيها ـ قبل غيرها ـ هو الرأى الجدير بالتقدير . !!

مقاييس الشخصية النموذجية :

ثمة أسس انتهى إليها الوعى الإنساني يقوم عليها بناء الشخصية الكاملة بصرف النظر عن الخلاف حول بعض الخصائص الفرعية، أو حول تكثيف بعض الظلال في جانب على حساب الجوانب الأخرى، مما يميز غالبا بين نظرية وأخرى .

والركنان الجوهريان في الشخصية النموذجية هما :

- أن تكون شخصية واضحة، لا يغلب عليها الطابع الأسطورى أو المثالي المجرد .
- وأن تكون هذه الشخصية ذات تأثير إنساني عام امتدّ خلال القرون، وعبر أماكن مختلفة وأجناس مختلفين[1] .

ولئن كان النظر ضروريا إلى هذين الركنين الجوهريين، في كل شخصية تدخل في مجال العظمة الإنسانية، فإن تحديد مركز هذه الشخصية يتحدد على أساس مقياسين آخرين هما :

١ - **المستوى الكمي** (Quantity) أى مقدار التأثير الذى ينسب للشخصية .

٢ - المستوى الكيفي (Quality) أى نوع التأثير وجوهره[2] .

وإذا تجاوزنا هذه الأساسيات في (قياس الشخصية) فإننا

نجد مناحى مختلفة في النظر إلى العظمة الإنسانية .

ومن الغريب كما ألمعنا إلى ذلك ـ أن الموروث الثقافي والظروف الحضارية ـ تتحكم في مقياس النظرة، مهما كانت الرغبة في الحياد قائمة .

فإن المحاولة الناجحة التي لقيت صدى عالميا كبيرا والتي قام بها الأمريكي النصراني (مايكل هارت) لترتيب أعظم مائة على امتداد فترة زمنية تمتد ستة وعشرين قرنا من التاريخ ، هذه المحاولة لم تفلت من عدد من المثالب الخطرة على رأسها سيطرة النزعة الذرائعية (البرجماتية) على مقياسه ، بحيث لوحظ إصرار المؤلف على تصدير النتيجة العملية لجهاد العظيم، كما لوحظ على المؤلف شيء من التحيز للعنصر البريطاني بعامة والاسكتلندي بخاصة، وكذلك ميله لعلماء الفلك والقانون والفيزياء الذين ينتمي إليهم بحكم ثقافته وتخصصه[٣]، كما أنه ـ من وجهة نظرنا ـ ظلم عدداً من الحضارات ، على رأسها الحضارة الإسلامية، وأخطأ في وضع عدد من الشخصيات في قائمة «المائة الأوائل» كان أولى بهم أن يخرجوا من دائرة العظماء خروجا كاملا، نظرا لتأثيرهم السلبي «الهدام» في مجرى الحضارة الإنسانية أمام المقاييس الحقيقية للعظمة الإنسانية. وعلى رأس هؤلاء: كارل

ماركس، ولينين وستالين ، وداروين، وماوتسى تونج، وجنيكيزخان، وفرويد، ونيقولو ميكيافيللي .

إن علماء النفس والتربية المحدثين يقفون شبه حائرين أمام البناء الداخلي للشخصية الإنسانية، وهم يرون أن فهم المؤثرات الحقيقية، والعناصر الأساسية المؤدية للسلوك البشري ، من الأعمال البالغة الصعوبة .

وإنهم ليحارون أكثر عندما يشعرون بالبون الشاسع بين تقدم علوم الحياة والطبيعة، والتأخر الغريب في فهم الإنسان، نفسيا وسلوكيا، ويتمنون لو أمكن صياغة «تكنولوجيا السلوك الإنساني»[٤]، بحيث يمكن استخدام التكنولوجيا في فهم أعمق القضايا الإنسانية، وفي تكريس خدمة احتياجات الإنسان الروحية[٥].

ويرى هؤلاء النفسيون والمربون أن السلوك البشرى لايزال على العموم ينسب إلى قوى تقيم في داخل الإنسان، فيقال على سبيل المثال عن إنسان جانح إنه يعاني من شخصية مضطربة، بينما يقال ـ بالتالي ـ عن إنسان مستقيم إنه ذو شخصية سوية .

وفي رأى علماء النفس أن الشخصية تبرز سلوكها اعتمادا

على التفاعل بين ثلاث شخصيات داخلية هي الأنا (ego) ، والذات العليا (Superego) واللاشعور الغريزى أو الهو (Id) [٦]

وهكذا ـ من خلال هذه اللمحة العابرة ـ تبدو أمامنا طبيعة الأسلوب الذى ينهجه علماء النفس والتربية في فهم الشخصية الإنسانية وتقويمها . . وإذا نحن ذهبنا نتتبع بقية العلماء المهتمين بالإنسان والشئون الإنسانية فإننا نجد مناهجهم تخضع إن قليلا أو كثيرا للمؤثر الثقافي الخاص، فلعالم السياسة نظرته إلى الإنسان وتفسيره لسلوكه في ضوء قوانين علم السياسة، ولعالم الاقتصاد نظرته وتفسيره كذلك في ضوء علم الاقتصاد، ولعالم الاجتماع نظرته ولعالم الاجناس البشرية (الأنثروبولوجي) نظرته .

ومن هنا، واعتمادا على أننا نرى فى الإنسان كلا مركبا لايتجزأ، فنحن سنتجاوز هذه النظرات الجزئية، مشيرين إلى أننا سنأخذ بالأسس الواضحة التى تقوم عليها الشخصية، وبالمقاييس العامة التي تحدد مركز عظمتها . . إضافة إلى أهمية أن تتوازن في الشخصية الفعاليات المختلفة ، وإلى أن يكون لها قيمة وجودها الذى يلائم حجمها .

وضوح حياة الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الركن الأول من أركان دخول الشخصية التاريخية مجال التنافس في مضمار العظمة هو أن تكون واضحة . .

هكذا ذكرنا في صدر هذا البحث .

وهكـذا ذكـر (مـايكل هارت) في مقياسه الذى قام عليه منهجه في كتابه الشهير «الأوائل» إنه يقول :

«ومن عشرات البلايين الموجودين على هذه الأرض ذكرت القواميس البيولوجية أسماء أقل من واحد في المليون، ومن الـ ٢٠,٠٠٠ شخص المذكورة أسماؤهم في القواميس نحو حوالي نصف في المائة فقط ذكرت في هذه القائمة . . ويجدر بي أن أذكر على أى أساس وضعت هذه القائمة . فالأساس الأول هو أن الأشخاص الحقيقيين هم الجديرون بالاعتبار»[٧] .

والخاصة العظمى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته هي هذا الوضوح الكبير، فكأن الذين درسوا حياته دراسة جيدة، وعرفوه من خلال ماورد عنه في القرآن ـ الذى هو المصدر الأول لسيرته ـ وماورد في كتب السنة عن شمائله،

ومـاورد في كتب السيرة والتاريخ . . . لكأنهم يعيشون معه، ويحسون بحركته اليومية، وغدواته في دروب مكة والمدينة .

ويمكن للباحث أن يعرف مدى الوضوح في حياة رسول الله إذا هو قارنها بأية شخصية أخرى في التاريخ، بل إذا هو قارنها بشخصية أى نبي آخر، من مثل نوح الذى عاش ٩٥٠ سنة، أو بموسى أو بعيسى . . أو غيرهم .

لقـد كان المجتمع المسلم كله يراقب كل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، ويسمى كل هذا (سنة رسول الله) أى طريقته ـ ويعتبرها تشريعا مكملا للقرآن وشارحا له .

يقول المستشرق (مونتيه) في وصف وضوح حياة الرسول :

«لقد ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد، وإن ما قام به من إصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية»[٨] .

وتقول الدكتورة «لورافيشيا فاعليرى» أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة نابولي بايطاليا :

«لقد حاول أقوى أعداء الإسلام ـ وقد أعماهم الحقد ـ أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة، لقد نسوا أن محمدا كان

قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية لو كان قبل ذلك رجلا كذابا[٩]؟

لقد عاش محمد أربعين سنة قبل البعثة مع أهل مكة، يتعامل معهم يوميا، ويشترك في أمورهم العارضة، والكبيرة، وما عرف عليه السلام بشيء أمسكوه عليه قبل إعلانه نبوته، فما غش، وما كذب، وما خان، بل كان عندهم الصادق الأمين.

وإنه عليه السلام عندما أمره الله بإعلان رسالته صعد الصفا، وهتف بقريش، قائلا: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفوح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟
قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط[١٠]

فهذا الحوار تقرير من أهل مكة - في هذا الحشد - عن الأربعين سنة التي عاشها الرسول بينهم...

وثمة تقرير آخر عن هذه الفترة الطويلة اعترف فيه عدو الرسول «النضر بن الحرث بن كلدة».. فقد قال لقريش في

مجلسهم وهم يتباحثون كيف يقاومون الرسول ، فقام لهم النضر وقال :

- يامعشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم فيه ماقلتم[١١].

بل إن قريشا - بعد بعثته وحربهم له - لم يتورعوا عن أن يضعوا عنده ودائعهم ، وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم خلف على بن أبي طالب وراءه ليؤدى هذه الودائع إلى أهلها[١٢].

فهل هناك شهادة أبلغ من هذه الشهادة ؟

وهل ورد في التاريخ أن عدوا يأمن عدوه - بهذه الصورة - اللهم إلا إذا كانت صفحته وشخصيته واضحة غاية الوضوح، وإلا إذا كان في غاية الثقة من أنه فى القمة من نقاء الخلق وصفاء السريرة ورقى المسلك .

ولم يقف الأمر عند رقابة المجتمع بعامته بل ثمة (عيون) أكثر إحاطة به تقف دائما على باب منازله ترصد كل حركة يأتيها . . . وتسجلها، وتنقلها . . وتعتبرها تشريعاً .

إن هذه العيون هم (خدمه ومواليه) الذين من أشهرهم هند وأسماء ابنتا حارثة، وسلمى، وخضرة، ورضوى وميمونة بنت سعد، وأم أيمن واسمها بركة، وزيد بن حارثة، وثوبان، وسفينة، وأنسة، وأبوكبشة، وصالح شقران، ورباح، ويسار، وأبورافع، وفضاله، ورافع، وأبومويهبة[١٣]، ومدعم، وأنس بن مالك، الذى يعد أشهرهم على الإطلاق والذى عاش بعد الرسول أكثر من سبعين سنة، وعبدالله بن مسعود صاحب نعليه، وربيعة بن كعب، وعقبة بن عامر صاحب بغلته، وبلال، ومخبر، وكيسان، ووردان، وغيرهم[١٤]

ـ أما أهل الصفة، وعلى رأسهم المحدث المعروف (أبوهريرة) الذى اعتبر أكثر الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أما هؤلاء فكان عليهم ملاحقة الرسول عليه السلام منذ أول خطوة يخطوها خارج بيته .

وينفرد الرسول صلى الله عليه وسلم فى وضوح شخصيته وسلوكياته كلها ـ بميزة لا يشاركه فيها أحد غيره فى التاريخ المعروف . فمن بين المائة الذين اختارهم (مايكل هارت) كان هناك (١٩) لم يتزوجوا، لكن ليس هناك إلا محمد عليه السلام هو الذى حقق تلك الشخصية الفذة بينما كان يجمع بين تسع من الزوجات فى آن واحد، والقيمة الحقيقية لهذا

العدد من الزوجات، قد نعرفها إذا تذكرنا المثل الدارج الذى يفيدنا بأن العظيم لا يكون في بيته عظيما. . فكيف استطاع محمد أن يظل عظيما في كل هذه البيوت ؟ وأن تظل زوجاته من بعده مقدرات لعظمته، مع اختلاف قبائلهن، ومع أن بعضهن عشن بعده نحو خمسين سنة، فعائشة عاشت إلى سنة ٥٨ للهجرة، وأما جويرية بنت الحارث فقد عاشت إلى سنة ٥٦هـ وعاشت صفية إلى سنة ٥٠هـ، وحفصة بنت عمر عاشت إلى سنة ٥٠ أو٤٥هـ، وأم سلمة عاشت إلى سنة ٥٩هـ أى بعده بنحو خمسين سنة[١٥]

وليس هذا مناط الشاهد الذى نريده من تفرد النبي بهذه الميزة التي لم يفهمها كثير من أعداء الإسلام أو المسلمين حق الفهم. . . وإنما مناط الشاهد الذى نريده هو تلك الدرجة من الوضوح التي يمكن أن يعكسها وجود هذا العدد الكبير من الزوجات . .

فإذا أمكن لمحمد أن يعيش مع الناس حياة ظاهرية يرونه فيها ويراقبون حركاته، وقد يستطيع الكثيرون أن يظهروا في المجتمع بصورة متكلفة ـ فإن محمدا لا يستطيع أن يتكلف حياة غير حقيقية في بيته. . مع كل هذا العدد من الزوجات !!

وإذا أمكن أن تكون هناك زوجة أو زوجتان ، تقومان بإخفاء شيء من حياته ، فإن من المستحيل عقلا ـ لو كان في حياته شيء مريب ـ أن يتواطأ تسع زوجات ـ وحتى بعد وفاته ـ على إخفاء هذا الشيء . فسيرة محمد التي بين أيدينا عن شمائله إنما هي أوثق سيرة مأمونة من الكذب والتمويه على امتداد التاريخ كله .

وجانب آخر يحققه هذا العدد من الزوجات . . هذا الجانب هو أننا نستطيع أن نطمئن إلى أن كل صغيرة وكبيرة في حياة الرسول وشخصيته قد نقلت إلينا تماما . . وليس ثمة في التاريخ كله نبي أو عظيم عرف التاريخ أخصّ خصوصياته مثلما عرف محمد صلى الله عليه وسلم . . فحتى قضاؤه لوطره واغتساله بعده، وطريقة غسله، ونومه، وطريقة قضائه لحاجته، واغتساله منها . .

كل ذلك، نقله إلينا التاريخ بطريقة موثوقة ندر أن تتمتع بمثل وثاقتها نصوص فى التاريخ .

ومن زاوية أخرى فهذه هي صفحة الرسول واضحة في مصادر لا يرقى إليها شك، فقد حفظها القرآن في عشرات السور، ولخصتها آية قرآنية تخاطب محمدا وتصف خلقه وتقول له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١٦]

وإن كتب السنة الصحيحة والمعروفة لدى جمهرة المسلمين: البخارى ومسلم والترمذى، والنسائى، وأبوداود، وابن ماجه، وموطأ مالك.. ليست إلا تسجيلا وثائقيا لحياة الرسول ولأقواله وأخلاقه. وهذه الكتب تبلغ صفحاتها عددا من الآلاف، وقد خضعت لمنهج «الجرح والتعديل» الذى يعتبر من أوثق المناهج في النقد والتمحيص.

وقد كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله آلاف الكتب، كتبها مسلمون وغير مسلمين، ومايخلو قرن من القرون ـ منذ ظهوره ـ عليه السلام ـ إلا وتظهر دراسات عن سيرته وشخصيته، تكمل ماسبقها وتضيف ماظهر لها.

فهل ثمة في التاريخ وضوح يضاهي هذا الوضوح أو يقاربه ؟!!!

شخصية الرسول الخلْقية :

عقد الإمام أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزى (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ) فى كتابه الوفا بأحوال المصطفى فصلا كاملا عن صفات جسده صلى الله عليه وسلم، استغرق اثنتين وستين صفحة[١٧]، ويشمل جل مايتعلق بصفاته الخلقية، عليه السلام.

بيد أننا لا نجد هذا المقام مناسبا لبسط القول في صفاته الخلقية الكريمة، وحسبنا أن نأخذ منها جانبا نراه مؤشرا كافيا ـ للدلالة على تكامل شخصية الرسول في الجانبين الخلقي والخلقي .

وقد دفعنا إلى هذا مانعتقده من التأثير المتبادل بين الجانبين، ولاسيما وأن محمدا ـ كنبي وقائد ـ تحتاج شخصيته إلى التطابق بين الهيئة والأخلاق .

وقد جاء في الجزء الخاص بشمائل الرسول من كتاب جامع الأصول عن الترمذى أن على بن أبي طالب رضي الله عنه كان يصف الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

«لم يكن بالطويل الممغط[18]، ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان جعدا رجلا، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، كان أسيل الخد، وكان أبيض مشربا بحمرة، أدعج، أهدب الأشفار، ذا مسربه شتن الكف والقدمين، جليل المشاش والكتد، إذا التفت التفت معا، وإذا مشى يتكفؤ تكفؤا كأنما ينحط من صبب[19] بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدرا، وأشجعهم قلبا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه

أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، ولا يسرد الحديث سردا، يتكلم بكلام فصل، يفهمه من سمعه»[٢٠].

أما (أم معبد) التى مر الرسول صلى الله عليه وسلم بخيمتها أثناء هجرته، والتي حلب شاتها المجهدة، أما هذه المرأة ـ التي كانت على الشرك آنذاك ـ فقد قدمت لنا صورة أخرى تكمل الصورة السابقة التى أسلفنا ذكرها. . فقد اضطرت أم معبد أن تصف ضيفها لزوجها (أبي معبد) بعد عودته، وبعد أن أظهر دهشته من وجود اللبن في الخيمة فقالت أم معبد له :

مر بنا رجل مبارك كان حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا، قال: والله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه، صفيه لى يا أم معبد قالت :

«ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه تجله، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل وفي عنقه سطع، أجود، أكحل، أزج، أقرن : شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرون ربعة، تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو

أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهن قدرا، له رفقاء يحفون به . إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشور، لا عابس ولا مفند»[٢١]

وقال جابر بن سمرة: كان ضليع الفم أشكل العين، منهوس العقبين»[٢٢]

وقال أنس بن مالك: كان بسط الكفين، وكان أزهر اللون ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، قبض، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»[٢٣]

وقالت الربيع بنت معوذ : لو رأيته رأيت الشمس طالعة[٢٤].

وقال أبوهريرة: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجرى في وجهه، وما رأيت أحدا أحسن في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث[٢٥].

وتتعدد الروايات عن أوثق المحدثين والمؤرخين ، تصف جوانب من هيئة الرسول الخلقية[٢٦]، كما تصف طريقته في الملبس والمأكل والمشرب، والكلام والتلاوة والمشى كما تصف نقش خاتمه، ونعله، وخفه وسواكه ومشطه، وسيوفه، ودرعه وترسه، وأرماحه، وخيله وإبله وضحكه ، وتبسمه ومخالطته للناس، ومحبته للفأل الحسن، واستعماله الدهن،

والمرآة، ومحبته للطيب، وصفة خبزه ومائدته واختياره البقل والخل، وأكله القديد، والشواء والتمر والعنب، وغسل يده، وغير ذلك[٢٧].

وهـو تتبع دقيق ـ لهذا الجانب ـ يؤكد ماذكرناه سلفا عن الـوضوح النادر الذى تميزت به شخصيته التاريخية ـ في كل الجوانب، بحيث لا يعتقد أن هناك من يدانيه في هذا الباب، عليه الصلاة والسلام .

شخصية الرسول الخُلُقية :

إن النسيج الأخلاقي لمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الآية البشرية العظمى فى تاريخ هذا العالم .

إن جوهر القضية ليست في اتصاف محمد ببعض الأخلاق الحميدة، فكم من أناس اشتهروا ببعض الأخلاق، وعرفوا بها .

لقد عرفنا عن المرسلين، وعن بعض العظماء، اشتهارهم ببعض الأخلاق .

والقرآن ـ نفسه ـ يصف المرسلين ببعض ما اشتهروا به :

فإسماعيل ـ عليه السلام ـ كان صادق الوعد :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٢٨]

وعيسى عليه السلام ـ وصفه القرآن بالمبارك البار بأمه .

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[٢٩]

وفي سورة الأنبياء يصف القرآن إسحاق ويعقوب بأنهما كانا صالحين خيرين :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٣٠]

وفي السورة نفسها يصف القرآن لوطا وداود وسليمان بالعلم : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٣١]

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾[٣٢]

وفي السورة أيضا ـ يوصف إسماعيل وإدريس وذو الكفل بالصبر :

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣٣]

وهكذا يصف القرآن ـ فى سورة الأنبياء كما ذكرنا ـ عددا من الأنبياء ببعض الصفات. . لكن في ختام السورة نفسها عندما يصف محمدا فإنه لا يصفه بصفة جزئية وإنما يجعله ـ كله ـ هداية إلهية إلى العالم. . إنه رحمة لهذه الإنسانية أرسلها الله كما يرسل الشمس أو القمر :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣٤]

وفي موضع آخر يمدح القرآن محمدا عليه الصلاة والسلام، فيقول له :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣٥]

وبعض المفسرين[٣٦] يرون أنه «النور» المقصود في قوله تعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[٣٧]

وهكذا تتجلى الخاصية التى ينفرد بها النسيج الأخلاقى

لمحمد الرسول . . إنه نسيج متكامل، وإنه نظام أخلاقي متعانق الخيوط، فليس ثمة خيط نشاز، أو خيط من فصيلة مختلفة، وإنما هي الحقيقة الأخلاقية الواحدة التى يتعامل بها الرسول مع الحياة والأحياء .

إن هذه الوحدة الأخلاقية التى تفرد بها الرسول تمثل جوهر رسالته إلى العالم، قال عليه السلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣٨] وهى تفسر ـ فى الوقت نفسه ـ معنى أنه رحمة ونور لهذا العالم . !! فالعالم الإنساني لا نور له، ولا رحمة فيه إذا هو تجرد عن الأخلاق، وإن أزمات الحضارات، ما اندثر منها ومابقى إنما يعود إلى انحلال الأخلاق !!

ومن عجب أن ذلك الأمى، اليتيم، الفقير، عاش أخلاقيا طول عمره، لدرجة أنه كان ينادى بصفته الأخلاقية في الجاهلية، فكان يطلق عليه (الصادق الأمين) . .

إن هذا النبي الأمى كان له كما يقول كاتب عربي نصراني ـ في مجال الأخلاق شئون وشئون، فبالرغم من مهامه الجسام، وأشغاله الكثيرة المتنوعة، وبالرغم من الغزوات والسرايا والحروب، فقد وجد الوقت الكافي ليلقى على المؤمنين ـ بأقواله وأفعاله ـ دروسا في شئون لاتمر ببال مسئول كبير في مثل مستواه وخطورته[٣٩] .

فذلك العظيم الذى كان يحاول تغيير التاريخ، ويعد شعبا لفتح الدنيا من أجل الله.. ذلك الرجل وجد الوقت الكافي ليلقى على الناس، دروسا في آداب المجتمع وفي أصول المجالسة وكيفية إلقاء السلام لكأنه معلم حصرت مهمته في تثقيف بضعة وعشرين تلميذا، ولم يكن له مهمة سواها[٤٠].

والوحدة الأخلاقية التي تمثل نسيج أخلاق محمد الرسول (عليه الصلاة والسلام) ليست في أنه «أخلاقي» يمتاز بمجموعة الأخلاق الإنسانية المتعارف عليها، فلا يندّ عنه خلق، فهو الأمين إذا ذكرت الأمانة، وهو الصادق إذا ذكر الصدق، وهو الوفي.. وهو الكريم.. وهو الشجاع، وهو الزاهد، وهو المتواضع، وهو الرحيم، وهو البار، وهو الحكيم، وهو الفصيح البليغ، وهو العابد..

إن هذه الوحدة الأخلاقية التي ترجمتها شخصية محمد الاجتماعية ليست في هذا كله ـ وحسب، بل ـ وهو الأهم ـ في أنه ـ عليه السلام ـ لم يسمح للظروف الصعبة كل الصعوبة ـ في أن تغير شيئا من نسيج أخلاقه، ولم يجعل لتقلبات حياته من شدة إلى يسر أى أثر في ذلك.

فأخلاقه فوق الظروف.. وفوق التقلبات..

فإذا كان التاريخ قد ذكر أن قوم موسى من بني اسرائيل حين خرجوا من مصر أخذوا حليّ المصريات ودائع، ثم هربوا بها ـ فإن محمدا ـ وأصحاب محمد ماسمح لهم نظامهم الخلقي أن يفعلوا شيئـا من ذلـك، بل إنهم تركـوا أمـوالهم وديارهم للمشركين، أما محمد فإنه أبقى عليا بعده ليؤدى الأمانات إلى أهلها . .

وما رأيك في أن الشخصية الأخلاقية لهذا النبي لم تسمح بأن يرد هذه الأموال وهذه الديار إلى أصحابها المسلمين بعد فتح مكة . . . ؟!!

- لماذا ؟
- لأنهم فقـدوها في سبيل الله، ولأنهم كُتبوا في سبيل هذا المغرم من المهاجرين السابقين الأولين . . فلا يجوز لهم أن يشوهوا هذا الشرف بطلب مافقدوه في سبيل الله !!
- بل ما رأيك في أن النبي الـوفى لم يقبـل أن يأخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ويعطيه لعلي بن أبي طالب . . حتى لا يعطى مقابلا ماديا للإسلام ويحرم آخرين من حقوق تاريخية عرفت لهم :

قال ابن اسحـاق، يصف مافعـل الـرسـول عليه الصـلاة والسلام بعد فتحه مكة :

- «حدثني أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . . يامعشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب . . يامعشر قريش: ماترون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فقام إليه على بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال : يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له، فقال: هاك مفتاحك ياعثمان. اليوم يوم بر ووفاء»[٤١] . . . !!

فحتى في هذه اللحظة الفاصلة . . لحظة الانتصار الكاسح، لم يتخل محمد الرسول عن طبيعته الأخلاقية: العفو عن العتاة المذنبين . . والوفاء لأصحاب الحقوق . . والوقوف من أصحابه - المنتصرين - الموقف الصارم العادل .

- إنه لقادر على أن يلتزم الموقف الأخلاقى المناسب، مهما

تكن اللحظة التاريخية حرجة وحاسمة . . إنه نبى يشرع بسلوكه، وينطلق من منهج واضح وليس من (رد فعل) تمليه أو تفرضه أية ضواغط أو ظروف !!

لقد تحدث بعض الكتاب معددا الخوارق التي صاحبت الدعوة المحمدية فقال: «إن من أعظم الخوارق التي كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم أخلاقه، فكانت في ذاتها أمرا خارقا للعادة بين بنى الإنسان، فهى أعلى من أخلاق الملائكة لأن الملائكة حسن أخلاقهم بمقتضى كونهم: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون «وليس فيه روحانية عيسى عليه السلام المجردة، بل كانت فيه الروحانية الإنسانية، بما في الإنسان من مطالب الجسم وتجرد الروح، فمحمد بين الناس الإنسان الذى تتجلى فيه الإنسانية الكاملة، وفي طبعه روحانية إرادية[٤٢].

وقد كانت صفحة حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما نقلت إلينا بكل دقة وتوثيق ـ أخلاقية إنسانية بلغت من السمو غاية مايستطيع إنسان أن يبلغ، وكانت لذلك أسوة حسنة لمن هداه الله أن يحاول بلوغ الكمال الإنساني من طريق الإيمان والعمل الصالح . وأى سمو في الحياة كهذا السمو الذى جعل حياة محمد قبل الرسالة مضرب المثل في الصدق والكرامة والأمانة، كما كانت بعد الرسالة كلها التضحية في سبيل الله

وفي سبيل الحق الذى بعثه الله به، تضحية استهدفت حياته من جرائها للموت مرات فلم يصده عنه أن أغراه قومه وهو في الذروة منهم حسبا ونسبا، بالمال وبالملك وبكل المغريات[٤٣]!!

والغريب أن هذه الإنسانية الأخلاقية قد طبقت على هذا النحو الخارق للعادة في أروع صور البساطة واليسر. . فبدت ـ مع سموها ـ وكأن البساطة وعدم التقعر أو التكلف هي نسيجها الذى يجمع بين خيوطها المترابطة .

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما من لعنة تذكر ولا انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله ، ولاسئل شيئا قط فمنعه إلا أن يسأل مأثما، فإنه كان أبعد الناس منه، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما[٤٤]

وقد سئلت عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت : كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٤٥]

وأخبر أبوبكر بن عبدالله بن أويس المونس . . قال : كانت

في النبي صلى الله عليه وسلم خصال ليست في الجبارين، وكان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه، وكان ربما وجد ثمرة ملقاة فيأخذها فيهوى بها إلى فيه وإنه ليخشى أن تكون من الصدقة، وكان يركب الحمار عريا ليس عليه شيء[٤٦]

وكان خادمه أنس بن مالك يقول : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته، وكان لا يظلم أحدا أجره[٤٧]

وكان من عادته أن يجلس حيث ينتهى به المجلس، وأن يبش إلى كل من يجلس إليه حتى يظن أنه أحب أصحابه إليه .

وعن الحسن رضى الله عنه أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لا والله ما كان يغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزا من أراد أن يلقى نبى الله لقيه، وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف بعده

ويلعق والله يده[٤٨]!!

وعن قيس بن أبي حازم أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه استقبلته رعدة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (هـوّن عليك فإنى لست ملكا إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[٤٩]) .

ومما يتصل ببساطته وإنسانيته الكريمة حبه للدعابة والمزاح والابتسام الودود، وقد رويت عنه في ذلك روايات كثيرة، منها قصتـه مع العجـوز التي قال لهـا : أو ماعلمت أن الجنـة لا يدخلها عجوز؟ فلما ولت تبكى قال ردوها، وطمأنها بأنها ستعود بكرا شابة «إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا»[٥٠]

وكان يسابق عائشة فلما سبقها بعد أن سبقته قال: هذه بتلك[٥١].

وكـان ـ عليه السـلام ـ سمحـا متـواضعـا واسـع الرحمة بالضعفـاء والبهـائم، وقـد سمع بكاء صبى وهو في الصلاة فخفف صلاته حتى لا تفتن أمه التي كانت تصلى وراءه .

ورأى جملا هزيلا فقال: اتقوا الله في هذه البهائم أطعموها واركبوها صالحة.

وكان زاهدا في الدنيا، وقصته مع عمر بن الخطاب معروفة ذائعة، فقد دخل عليه عمر رضي الله عنه يوما فرآه على حصير قد أثر في جنبيه ورفع رأسه في البيت فلم يجد إلا إهابا معلقا وقبضة من شعير وحصيرا تكاد تبلى، فبكى عمر، فقال له مايبكيك يابن الخطاب ؟ فقال عمر: يانبى الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر في جنبيك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، . وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته ؟ فقال له الرسول : أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا[٥٢]

وكان ـ مع ذلك كله ـ أشجع الناس، وقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم وهو يقول : لن تراعوا !! وهو على فرس لأبي طلحة عرى في عنقه السيف : فجعل يقول للناس : لن تراعوا : وقال: وجدناه بحرا أو إنه لبحر يعنى الفرس[٥٣]

وعن على رضى الله عنه قال: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يؤمئذ، وعنه قال: كنا إذا احمرّ البأس ولقى القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان أحد أقرب إلى

العدو منه[٥٤]

وكـان أوفى النـاس بعهوده، وأوفاهم لأصحاب الأيادى، حتى ولو كانوا من أعدائه. ولازال وفاء الرسول بشروط صلح الحديبية المجحفة أمرا يتناقله المؤرخون بإعجاب، وقد ظهر وفـاؤه من اللحظة الأولى التى أعقبت توقيع الصلح. إذ جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو «يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يقبله الـرسـول عليه السلام، وقال له: (اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم»[٥٥]

وأمـا وفـاؤه لأصحـاب الحقـوق فهـو آية من آيات خلقه البـاهـرة، ومعـروف في التاريخ قصته مع هوازن بعد موقعة حنين، فإن هوازن التى وقع نساؤها وأطفالها في الأسر لم تجد ماتشفـع به إلا أن تذكـر أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد استرضع فيها. . فكان تذكيرها للرسول بذلك، بعد ما أساءوا إليه أبلغ إساءة ـ سببا في إطلاق آلاف الأسرى[٥٦]

وعندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى مرض الموت خرج إلى أصحابه في هذه اللحظات الصعبة، ليخطب فيهم،

ويقول لهم :

«يامعشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد، وإنهم كانوا عيبتى التي أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»[٥٧].

ولعل مما ينطبع في الذهن فلا يتحول، قوله عليه السلام بينما هو في محنة غزوة أحد، والمسلمون يدفنون شهداءهم عقيب المعركة :

«انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبدالله بن عمرو بن حرام فإنهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد»[٥٨]!!

إن هذه بعض ملامح شخصية الرسول الأخلاقية، وقد عمدنا فيها إلى الإيجاز الشديد، وإلى التركيز على بعض المواقف والنظرات الضرورية، ولقد أغنانا كتاب الشمائل والسير عن التفصيل، والجدير بالنظر في نهاية هذا العرض ـ أن قيمة هذه الأخلاق قد تجلت في وضع كل خلق في موضعه الصحيح، دون أن تختل النسب والموازين التي تستحقها القيمة الأخلاقية في ظرفها المناسب، وقد بدت أخلاق الرسول ـ في مجموعها ـ على هذا النحو، وكأنها عقد جميل

منسجم الحبات يتوج جبين الإنسانية، ويطلعها ـ في الوقت نفسه ـ على المستوى الإنساني الرفيع الذى يمكنها أن تدنو منه.. وأن تتأسى به الأسوة الكريمة الحسنة في إطار من التواضع والبساطة والرفق، لأن النظام الأخلاقي لمحمد يعتمد الرفق أساسا في المعاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والحيوان وبين الإنسان والجماد[٩٩].. وهو يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» ويقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى».

ويقول عن جبل أحد: «أحد جبل يحبنا ونحبه»...

فهل رأت البشرية أرقى من هذه النظرة الأخلاقية الكونية الشاملة التى تنتظم كل من في الحياة.. ومافي الحياة؟!!

إنها نظرة أخلاقية واحدة من مصدر واحد، وتعتمد على وسيلة واحدة، وتهدف لغاية واحدة.

إن شخصية الرسول الأخلاقية (عليه الصلاة والسلام) هى التي وقفت في وجه المشركين ثلاثة عشر عاما بمكة فلم تعجز، ولم تهن، ولم تيأس، وهي نفسها التي فاضت في المدينة على شئون الدنيا، فدلت على مافيها من الحيوية والقوى التي جعلتها أهلا للتغلب على كل معضلة، في وقتها ومناسبتها...

تلك القـوى والصفات التي لم تجتمع لأحد من قبله ولا بعده، جعلته ـ عليه الصلاة والسلام ـ «ومن أية ناحية نظرت إليه» مثـلا كاملا، وأسوة حسنة، بل من مجموع هذه القوى والصفات يبرز للناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (سواء أكان في أيام الدعوة المجردة عن السلطة أم في أيام الدعوة المصحوبة بالجهاد في المدينة) ذاتا موفقة ناجحة، انصرفت إلى الله بكليتها فجعلته أمامها، ووضعت ماعداه وراءها.. هو في كلتا القريتين الناسك العابد، الباكي بين يدى خالقه، وهو فيها الزاهد، يعرض عليه أصحابه أن يوطئوا له فراشا، فيقول: مالي وللدنيا !! ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[٦٠].

× × ×

ـ وتلك بعض أبعـاد شخصية الـرسـول الأخـلاقية.. المتكاملة الشامله !!

ـ فعلى النبى الأمى الـذى بعث ليتمم مكـارم الأخـلاق أفضل الصلاة وأزكى السلام.

شخصية الرسول أمام المقاييس العامة :

عمد مؤرخو السيرة النبوية في القديم والحديث إلى الإشارة إلى المقاييس الأساسية التى تبنى عليها العظمة الإنسانية، ولئن كانت إشاراتهم مجملة، إلا أن ذلك لا ينقص من قيمة هذه الإشارات، فالإجمال الذى اهتموا به في ذكر المقاييس قد أغنى عنه تتبعهم الدقيق لصفات الرسول صلى الله عليه وسلم الجسمية والخلقية تتبعا استقصائيا، لم يتحقق لشخصية غيره في تاريخ الأنبياء والعظماء، وقد تسابقوا في ذلك، وصنفوا في شمائله كتبا مستقلة أبرزها ماجمعه الإمام أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذى، في كتابه المعروف بكتاب (الشمائل)، والحافظ ابن عساكر في شرحه للترمذى، والإمام المزى في تهذيب الكمال، فضلا عن أبواب الشمائل في كتب الحديث المعتمدة، وماورد في سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية وغيرها.

وقد شاع بين المحدثين ومؤرخي السيرة ذلك المقياس المعروف المجمل الثابت في النظر إلى شخصية الرسول.. إنه المقياس الذى يتلخص في عبارة زوجه عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه فأجابت: «كان خلقه القرآن».

ففى رواية اسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن يونس عن الحسن قال: سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن[٦١].

وفي رواية سعيد بن أبي عروة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال: قلت لعائشة أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قال: قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، قال قتادة: وإن القرآن جاء بأحسن أخلاق الناس[٦٢].

وقد فطن المحدثون ومؤرخو السيرة النبوية إلى الفرق في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مستويين : مستوى النبوة، ومستوى الإنسانية.

فقد ورد في كتاب الشفاء للقاضى عياض أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة، وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني، وهو مايحمد فاعله، ويقرب إلى الله تعالى زلفى، ثم هى على فئتين أيضا، منها مايتخلص لأحد الوصفين، وما يتمازج بتداخل، فأما الضرورى المحض، فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته عليه الصلاة والسلام من كمال خلقته، وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه ـ وقوة

حواسه وأعضائه واعتدال حركاته، وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه. . .

ويلحق به ماتدعو ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه .

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والفضائل الشرعية من الدين والعلم والحلم، والصبر والشكر، والعدل، والزهد، والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الخلق، والمعاشرة وأخواتها، وهي التي جماعها حسن الخلق[٦٣] .

ومن هذا النص نرى أن مقياس القاضى عياض يفرق بين المستوى الذى هو هبة من الله. . ولا مجال للقياس عليه، والمستوى الإنساني المكتسب من توجيهات الدين. . لكن هذه التفرقة وإن كانت لها أهميتها في الجانب التربوى والتعليمي، لا أهمية لها في جانب تقويم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فشخصيته كل لا يتجزأ من ناحية تكوينها الخاص، وأعمالها الانعكاسية، التى تعبر عن جماع العظمة، وعن كينونته كرسول وإنسان في آن واحد .

على أن آفاق الرسول الإنسانية آفاق فسيحة تعطينا نموذجا كاملا لدورة من الحياة تتعدد فيها المواقف والأبعاد، ولا نكاد

نتوجه إليها بموقف من المواقف أو مشكلة من المشكلات إلا ونجدها تعطينا الحلول المثلى التي تليق بإنسانية الإنسان حين يسمو إلى أقصى القمة التي يمكن أن تصعد إليها النفس الإنسانية .

ولئن كان محمد ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبعد من أن ترنو إليه البشرية أو أن تسعى للوصول إلى درجته، لأن درجته ـ كرسول إنما هي درجة اصطفاء محض و «الله أعلم حيث يجعل رسالته»[٦٤] ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٦٥]

فإن الجانب الآخر من شخصية محمد ـ الإنسان ـ إنما يشكل إطارا فسيحا يستطيع أن يرنو إليه كل إنسان، بل إنه لمن الواجب أن يرنو إليه وأن يحاول تمثله والتخلق بخلقه

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٦٦] . .

وليس معنى ذلك أن ثمة انفصالا ملموسا في شخصية الرسول بين جانبي النبوة والإنسانية، بمعنى أنه عليه الصلاة والسلام ، يمكن أن يبدو في بعض الأحايين ملائكيا خارجا عن نطاق البشر في سلوكياته ـ إذا كان في موقف من مواقف النبوة ـ أو أن ينزل إلى مستوى بشرى لا يليق بسموه إذا كان في

موقف من مواقف الإنسانية . . كلا، فإن شخصية محمد قد رشحت بالجانبين في سياق واحد، وهذا معنى الربط القرآنى الدائم في شخصية الرسول بين البشرية والرسالة

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٦٧]

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[٦٨].

ونحن نعرف من تاريخ بعض الهداة أنهم فصلوا - في الحياة - بين جوانب وجوانب، كما أننا نعرف أن إحدى الديانات الكبرى قد انحرف بها أصحابها، فجعلوا من نبيها «عيسى عليه الصلاة والسلام شبه إله»،

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾[٦٩]

وبالتالى فقد ضاع معنى «الشخصية الإنسانية النموذجية» الذى يمكن أن يتأسى بها، وقد أغرقت - بألوهيتها المزعومة - في البعد عن واقع الناس، وعن إمكانية أن تكون مقياسا لهم، وكان من أثر ذلك أن ضاعت ملامحها وأبعادها . . وانحصرت في دائرة محدودة - في جانب - وفقدت تأثرها الشمولى الإنساني الملموس في جانب آخر.

أمـا شخصية (محمد الرسول عليه الصلاة والسلام) فقد رآها الناس نموذجا حيا متحركا يواجه الحياة في شكلها العادى يأكـل الـطعـام ويمشى في الأسـواق، ويجـوع، ويتـزوج، ويغضب ويحارب ويزور الأرمل والمريض، إلى آخر الأحوال والعوارض التى تلم بحياة الناس كلهم . .

والمهم أنـه يواجـه كل هذه الجـزئيات المعـاشية بمنهج النبـوة، مقدما للناس الأسوة السوية التى تحافظ على معالم منهجها مهما تباينت الأحوال واختلفت الظروف .

يقول الأستاذ سليمان الندوى، مصورا هذه الخاصة التى بهـرت البـاحثين المنصفين، مسلمين وغير مسلمين، والتي مثّلت إطارا فريدا في شخصيات التاريخ البشرى كله. . . يقول :

«كان الواعظ الذائع الصيت الأستاذ حسن على رحمه الله يصدر في (باتنة) قبل خمسين عاما مجلة (نور الإسلام) وقد قال في جزء منها إن صديقا له من البراهمَة قال له: إني أرى رسول الإسلام، أعظم رجال العالم وأكملهم، فقال له الأستاذ حسن علي :

ـ وبماذا كان رسول الإسلام عندك أكمل رجال العالم ؟

فأجاب: لأنى أجد في رسول الإسلام خلالا مختلفة، وأخلاقا جمة، وخصالا كثيرة: لم أرها اجتمعت فى تاريخ العالم فى إنسان واحد في آن واحد: فقد كان ملكا دانت له أوطانه كلها: يصرف الأمر فيها كما يشاء. وهو - مع ذلك - متواضع في نفسه: يرى أنه لا يملك من الأمر شيئا، وإن الأمر كله بيد ربه. وتراه في غنى عظيم: تأتيه الإبل موقرة بالخزائن إلى عاصمته، ويبقى مع ذلك محتاجا، ولا توقد فى بيته نار لطعام الأيام الطوال. وكثيرا ماينطوى على الجوع. ونراه قائدا عظيما: يقود الجند القليل العدد، الضعيف العدد، فيقاتل بهم ألوفا من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة، ثم يهزمهم شر هزيمة. ونجده محبا للسلام مؤثرا للصلح، ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلب مطمئن، وجأش هادىء، ومعه ألوف من أصحابه: من كل شجاع باسل، وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه، ونشاهده بطلا شجاعا: يصمد وحده لآلاف من أعدائه، غير مكترث بكثرتهم، وهو مع ذلك رقيق القلب، رحيم رؤوف، متعفف عن سفك قطرة دم. وتراه مشغول الفكر بجزيرة العرب كلها، بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده، ولا من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم، ويهتم بأمر الناس الذين نسوا خالقهم وصدوا عنه فيحرص على إصلاحهم. وبالجملة إنه إنسان يهمه أمر العالم

كله، وهو مع ذلك متبتل إلى الله، منقطع عن الدنيا، فهو في الدنيا وليس فيها، لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله . لم ينتقم من أحد قط لذات نفسه، وكان يدعو لعدوه بالخير، ويريد لهم الخير . لكنه لا يعفو عن أعداء الله، ولا يتركهم، ولا يزال ينذر الذين صدوا عن سبيل الله ويوعدهم عذاب جهنم، وتراه زاهدا في الدنيا عابدا يقوم الليل لذكر الله ومناجاته، إنك لتراه الجندى الباسل المقاتل بالسيف. وتراه رسولا حصيفا، ونبيا معصوما، في الساعة التي تتصوره فيها: فاتحا للبلاد ظافرا بالأمم، وإنه ليضطجع على حصير له من خوص، ويتكىء على وسادة حشوها من ليف، حينما يخطر على بالنا أن ندعوه بسلطان العرب، ويكون أهل بيته في فاقة وشدة، عقب استقباله الأموال العظيمة: آتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية، فتكون فى فناء مسجده أكواما وتأتيه ابنته وفلذة كبده فاطمة: تشكو إليه ماتكابده من حمل القربة والطحن بالرحى، حتى محلت يدها وأثرت القربة فى جسمها، والرسول - يومئذ - يقسم بين المسلمين، ما أفاء الله عليهم من عبيد الحرب وإمائها، فلاتنال بنته من ذلك، إلا دعاءه لها بكلمات يعلمها كيف تدعو بها ربها»[٧٠]

من هنا فإننا يجوز لنا أن نصف شخصية الرسول بكل النعوت الإنسانية الفاضلة، فنتحدث عنه زوجا، وأبا، وقائدا،

وتاجرا، وعبقريا .

وفي المقابل فإن لنا أن نتحدث عنه نبيا معصوما لا ينطق عن الهوى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[٧١] ، ومعلّما لا يزيغ ولا يضلّ، ومشرعا عظيما يأمرنا القرآن باتباعه

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٧٢]

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٧٣]

ولسنا نجد أدنى شبهة تعارض بين جانبي شخصيته عليه الصلاة والسلام .

ولقد ظن بعض الناس أن مكانة محمد الرسول لا تُجيزُ أن ننعته ببعض الصفات البشرية الكريمة، كالعبقرية، والنبوغ، والأريحية مثلا . . وهذا منهج خاطىء فإن شرف الرسالة ومهمتها العظمى لا يجوز أن يرقى إليها إلا إنسان نقى عظيم مؤهل لكي يؤدى الأمانة ويحمل تبعية تمثيل الرسالة في الحياة، وعلى خير وجه ممكن. ومهما كان من قول بعضهم في حادثة (شق صدره) عليه الصلاة والسلام، وهي الحادثة التي تكررت في حياته مرتين : مرة وهو دون الخمسة أيام حين كان عند حليمة في بادية بني سعد، ومرة وقد جاوز الخمسين، وهما حادثتان أكد أولاهما مسلم في صحيحه، وأحمد في

مسنده والحاكم وابن جرير الطبرى المؤرخ، وأكد ثانيتهما البخارى في صحيحه، ومسلم في صحيحه، والنسائى من حديث مالك بن صعصعة.

نقول: مهما يكن من قول بعضهم[٧٤] في هاتين الحادثتين من الناحية التاريخية ـ فإن العبرة المستخلصة من هذه الحادثة ـ أن بشرا ممتازا كمحمد لا تدعه العناية الإلهية غرضا للوساوس الصغيرة التى تناوش غيره من سائر الناس، وإنها لا تختار للغاية العظمى إلا نفسا عظيمة[٧٥].

ومن هنا فقد كانت سيرة محمد قبل البعثة سيرة إجلال وأريحية، ولم يعرف أنه صلى الله عليه وسلم شارك في صغائر أو فساد قط.

فالعظمة الإنسانية ـ بكل مقاييسها الصحيحة ـ صالحة لأن تطبق عليه، ودلائل النبوة ـ من جانب آخر ـ ناضحة في كل مسيرته الإنسانية.

والفرق بين النبوة والعظمة هو أن مقاييس الكمال في النبوة لا تقاس بمن في الأرض، ومقاييس العظمة تقاس بمن في الأرض، والنبوة سماء تتكلم نورا، والعظمة تراب يصعد غرورا إلا أن العظمة المستمدة من النبوة نور من الأرض يتصل بنور السماء[٧٦]، وليس وصف النبي بالعظمة أو العبقرية معناه أن

النبوة من جنس هذه العبقرية أو البطولات ـ كما وهم بعضهم ـ لكن يراد به مجموعة الملكات والمواهب والاستعدادات التي فطر الله نبيه عليها، فهي له نور في الأرض، قبل أن يتصل به نور السماء، ومن هنا كان مبدأ العصمة عن الكبائر قبل النبوة وبعدها[٧٧].

ويقول الأستاذ (عباس محمود العقاد)، في دفاعه عن وصفه لمحمد بالعبقرية في كتابه الموسوم باسم (عبقرية محمد) يقول :

«ولهذا كان تقدير محمد بالقياس الذى يفهمه المعاصرون ويتساوى في إقراره المسلمون وغير المسلمين نافعا في هذا الزمن الذى التوت فيه مقاييس التقدير، إنه لنافع لمن يقدرون محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وليس بنافع لمحمد أن يقدروه، لأنه في عظمته الخالدة لا يضار بإنكار، ولاينال منه بغى الجهلاء إلا كما نال منه بغي الكفار. . وإنه لنافع للمسلم أن يقدر محمدا بالشواهد والبينات التي يراها غير المسلم فلا يسعه إلا أن يقدرها ويجرى على مجراه فيها لأن مسلما يقدر محمدا على هذا النحو يحب محمدا مرتين :

مرة بحكم دينه الذى لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم الشمائل الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس[٧٨]. .

فلا ضير إذن في أن نتحدث عن الشمائل الإنسانية عند النبى صلى الله عليه وسلم تحت أى عنوان، لندل على أن محمدا كان عظيما بكل مقياس، وأن حظه من التوقير والاحترام والإعجاب، ومكانته في التقدم على عظماء الأرض، يجب أن يشارك فيها المسلم وغير المسلم، ويضاف إلى هذا أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل من شمائل محمد شمائل إنسانية بكل عرف، وبكل مقياس وبكل تقدير، وفي جميع الأمكنة والأزمان إلا ليدلّ على أنه نبى الإنسانية الكامل، ومثلها الأعلى، وملاذها الأخير[٧٩] صلى الله عليه وسلم .

وها هي القرون تتابع، ومنكروا عظمته يتضاءلون، وجوانب نبوته تزداد تألقاً، وشهادات الخصوم ـ قبل الأنصار ـ أصبحت تلقف الأكاذيب والتلفيقات التى أحيطت بها سيرته، بحيث لم يجد (مايكل هارت) سنة ١٩٧٨م ـ وهو النصرانى ـ بدأ من أن يضعه على رأس قائمة العظماء في التاريخ .

إنه «الأول» بعد أن كان محمد عليه الصلاة والسلام في (جحيم) «الكوميديا الالهية» للشاعر المعروف (دانتى) خلال القرون الكنسية الوسطى !! وكأنَّ (مايكل هارت) كان يتوقع دهشة مواطنيه الأمريكان، حينما جاء محمد «الأول» في

التاريخ فهو يحاول ـ جاهدا ـ أن يبرِّر النتيجة التي انتهى إليها البحث فيقول :

«إن اختيارى لمحمد ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيرا من القراء إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمدا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذى نجح بشكل أسمى، وبرز فى كلا المستويين الدينى والدنيوى»[٨٠].

وقبل (مايكل هارت) دوت خلال النصف الأول من القرن العشرين للميلاد (الرابع عشر للهجرة) كلمات الكاتب والفيلسوف الأيرلندى المشهور (برناردشو) التي نظر فيها إلى عظمة (محمد الرسول) بالمقياس الإنسانى العام، ولم يملك إلا أن يخاطب بنى قومه ويقول :

«لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى، بسبب حيويته العظيمة، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان».

ثم استطرد يقول :

«لا مشاحة في أن العالم يعلق أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال، لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا في الغد القريب، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم. ولقد صور أكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان: إما بسبب الجهل أو بسبب التعصب الذميم.

ولقد كانوا ـ في الواقع ـ يمرنوننا على كراهية محمد وكراهية دينه وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح.

ولقد درسته باعتباره رجلا عظيما ـ فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ـ بل يجب أن يدعى: منقذ الإنسانية.

وإنى لأعتقد أنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث، لنجح في حل مشكلاته، بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما...

ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون، أمثال كارلايل وجوته... القيمة الذاتية لدين محمد. وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوربا من الإسلام. ولكن أوربا ـ في القرن الراهن ـ تقدمت في هذا السبيل كثيرا، فبدأت تعشق عقيدة محمد. وفي القرون القادمة، قد تذهب أوربا إلى أبعد من ذلك، فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل

مشاكلها، بهذه الروح يجب أن تفهموا نبؤتي»[٨١]

انتهى مانقلناه عن برناردشو وفيه عظيم الدلالة لمن ألقى السمع . . وهو شهيد .

وهكذا كما رأينا من تحليل البرهمى ومايكل هارت وبرناردشو ـ تقف (شخصية محمد الرسول) ـ فذة سامقة . . أمام كل العصور والأماكن والمذاهب . . وأمام كل المقاييس الإنسانية الصحيحة .

فعليه الصلاة والسلام .

التأثير الأخلاقي للرسول في التاريخ :

حفظ لنا التاريخ سيرا كثيرة، وقدم لنا عشرات الفاتحين والقواد وبناة الدول وقد حفظت لنا ـ كذلك ـ الكتب المقدسة، وبقايا التاريخ، سير كثير من الأنبياء والمرسلين. .

وقد بقى في حياتنا المعاصرة من آثار الأول الشيء الكثير، على الأقل من الناحية الإسمية، فلايزال هناك نصارى يقترب عددهم من ضعف عدد المسلمين، ولازال هناك يهود يمثلون (٢٥ في الألف) من عدد المسلمين. . . ولازال هناك. . بوذيون وبراهمة. . بل وفي الأرض عدد يربو على عدد المسلمين من الشيوعيين والعلمانيين الملاحدة .

ولكن الحقيقة أنه لا جماعة من هذه الجماعات تنتمى الانتماء العجيب لدينها ولنبيها ولحضارتها مثل المسلمين .

فإن النصرانية في الاتحاد السوفيتي بعد ظهور الثورة البلشفية بالرغم من وقوف أمريكا وأوربا وراءها قد استسلمت استسلاما مهينا، بينما بقى المسلمون يقاومون ـ ولا يزالون ـ أعتى نظام بوليسى إرهابي !! .

يضاف إلى ذلك أن الكثرة من النصارى ـ باستثناء

الأقليات ـ قلما تفكر في هويتها النصرانية ، بل إنها في أمريكا وأوروبا الغربية، تجعل من «العلمانية اللبيرالية» الدين الرسمي ومنهج الحياة، وليس للنصرانية تأثير إلا في بعض المظاهر الساذجة ولدى العجزة . . ولا تكاد تشم ـ بعد ذلك ـ أى تأثير للمسيح ولا لإنجيله المفقود!!

ويقال في بقية المذاهب والأديان مايقال في النصرانية باستثناء اليهود الذين يخضعون لقانون الأقليات، ويحاربون ضد الذوبان في العالم، ومع ذلك فقد نسبوا إلى موسى عليه السلام صورا سيئة من الأخلاق لا تجوز على نبى كريم معصوم .

لكن، من بين كل الملل والنحل التى ظهرت فى التاريخ، يقف الانتماء الفكرى والوجداني الإسلامي، ثابتا كل الثبات، ومكافحا كل الكفاح، من أجل ذلك الدين الذى مثله بأخلاقه، وطبقه على نفسه، قبل أن يدعو الناس إليه ذلك النبي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام .

ولو أتيح للألف مليون مسلم أنْ يختاروا اختيارا حرا صحيحا.منهج حياتهم ودستور دولهم والشريعة التى تحكمهم والمثل الأعلى الذى تدور حوله أخلاقهم ـ لما اختاروا ـ وبكل حب ولهفة ـ إلا إسلامهم، وإلا شريعتهم الإسلامية، وإلا

إمام حضارتهم ومثلهم الكامل الأعلى محمدا عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا تتكتل القوى العالمية ضد ذلك اليوم ، وتقف بكل الطرق حائلا دون تحقيق أمل الأمة الإسلامية العظيم .

إن العلاقة بين محمد الرسول (عليه الصلاة والسلام) وبين المسلمين علاقة من طراز فريد في التاريخ . . . إنها علاقة أخلاقية أساسها :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[٨٢] . .

أى أنها علاقة رحمة وحب، وليس فيها شىء من أشياء هذه الدنيا ـ فإنه ـ عليه السلام ـ ما كان لديه شىء يغريهم به ، بل إنه كبدهم الأموال والدماء والأولاد والزوجات . .

إنه كلف المهاجرين الكثير. فقد تركوا عزهم وأمنهم ومالهم في مكة ليهاجروا مرتين إلى الحبشة ، لا يعرفون ماذا سيكون مصيرهم ، ثم هاجروا إلى المدينة ، تاركين أموالهم وديارهم . . بل إن بعضهم (كصهيب الرومى) تنازل للمشركين عن أمواله في سبيل أن يتركوه يلحق بالرسول .

أما الأنصار فقد تكلفوا الكثير دون أن يكون في ذهنهم

انتظار أدنى مقابل . . . إنهم عاهدوه في العقبة الثانية على أن يحاربوا الدنيا كلها ـ لو وقفت في طريق دعوته ، وقالوا : نقبله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف[٨٣] ـ مع أنهم كانوا قلة أمام قريش واليهود وبقية القبائل الوثنية في الجزيرة .

وقد نزل الرسول والمسلمون عليهم فشاركوهم في أموالهم ودورهم ، وقد تنازلوا لهم ـ وللرسول ـ عن كل شيء حبا وطواعية ، حتى استحقوا أن يثنى القرآن عليهم بقوله :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[٨٤] ﴾ !!

ومع ذلك فهؤلاء الأنصار لم تقع الخلافة فيهم بعد وفاته ، ولقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا حين أوصى بهم خيرا في خطبته في مرض الموت ، والأعجب من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعطهم شيئا يذكر عندما انتصر في موقعة (حنين) وأعطى معظم غنائمها للمؤلفة قلوبهم . . . ولما وجدوا في أنفسهم من هذا الأمر الذى كان كفيلا في أى ظرف تاريخي آخر أن يحدث انشقاقا خطيرا . . خطبهم رسول .

الله خطبة تعتبر آية من آيات الحب الذى يسمو فوق عوارض الدنيا . .

لقد جمعهم الرسول وقال لهم :

يامعشر الأنصار: ما قالة بلغتنى عنكم ؟ وجدة وجدتموها علىّ في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى : الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ ـ قالوا بماذا نجيبك يارسول الله ؟ . . قال صلى الله عليه وسلم : «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم : آتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة[٨٥] من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم .

ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» ـ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا[٨٦] .

إن هذه الخطبة التى ملأت لحى الأنصار دموعا هي دليل

من تلك الأدلة الكثيرة على تفرد ذلك التأثير الأخلاقي الذى تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين. . إنه أثر يتميز في نوعه وجوهره عن كل الآثار والعلاقات التى ظهرت فى التاريخ، فهذا الأثر الأخلاقي قد أحدث انقلابا اجتماعيا قاده محمد بعمله ومثله وشخصيته الفذه، فتعلق الناس به، وتركوا من أجله جاهليتهم وآباءهم وأبناءهم[٨٧].

أجل. . . لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام قائدا أخلاقيا تهوى إليه أفئدة الناس وتتعلق به؛ إذ كان في القمة من كمال النفس وجمال الخلق والشمائل الكريمة، وكان على أعلى قمة الشرف والنبل والخير والفضل[٨٨]. وهى مؤهلات القيادة الأخلاقية السامية.

وقد أحبه أصحابه حب الهيام، وحل منهم محل الروح والنفس، وشغل منهم مكان القلب والعين، فكان الحب الصادق يندفع إليه إندفاع الماء إلى الجذور[٨٩]. كما يقول بعض المؤرخين.

وما أحبه أصحابه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال لم يرزق مثلها أحد.

عن أنس بن مالك (خادم رسول الله) قال: «لما كان اليوم الذى دخل النبى صلى الله عليه وسلم في المدينة أضاء منها

كل شيء. فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم فيها كل شيء وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»[٩٠]

إنها بشاشة العاطفة الغامرة ينضح بها كلام خادمه أنس، فقد صبغت هذه العاطفة الآفاق بألوانها الزاهية مرة، وبسوادها الكابي على كل شيء مرة أخرى .[٩١]

وفي المواقف الصعبة التي يفر فيها المرء من أخيه وأمه وأبيه أثبت فيها المسلمون حبهم النادر لمحمد الرسول، ففي اللحظات العصيبة في غزوة أحد، حينما أحاط المشركون بالرسول، وأصابوا رباعيته اليمنى السفلى، ووجنته وشج فى رأسه. . في هذه اللحظات قام المسلمون ببطولات نادرة، فقد كان أبوطلحة يسور نفسه بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفع صدره ليقيه عن سهام العدو، وهو يقول للرسول: نحرى دون نحرك .

وقام أبو دجانة أمام الرسول فترس عليه بظهره والنبل يقع منه وهو لا يتحرك.

وتبع حاطب بن أبي بلتعة عتبة بن أبي وقاص الذى كسر الرباعية الشريفة فضربه بالسيف حتى طرح رأسه، ثم أخذ فرسه وسيفه. وكان سعد بن أبي وقاص شديد الحرص على قتل أخيه عتبة إلا أنه لم يظفر به بل ظفر به حاطب . وامتص

مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدرى الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم حتى أنقاه، فقال : مجّه فقال: والله لا أمجّه أبدا، ثم أدبر يقاتل فقتل شهيدا[٩٢]

وقد نعى إلى امرأة من بنى دينار زوجها وأخوها وأبوها في أحد، فقالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا خيرا ياأم فلان، فقالت: كل مصيبة بعدك جلل (أى صغيرة)[٩٣]

وإن أى كاتب لا يستطيع أن يتتبع الأثر الأخلاقي لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلا إذا تتبع تفاصيل رحلته في الحياة كلها، وإلا إذا تتبع ـ كذلك ـ حياة أصحابه وتفاصيل علاقتهم به .

ففي حياة كل منهم ـ معـه ـ صور من الحب لا يتـطاول إليها . . . في حياة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وخبيب بن عدى، وزيد بن الـدثنـة . . وكمـا يقـول كاتب «عـربي نصـراني» : إن من ينعم التفكير في سيرة محمد بن عبدالله رسول الله ونبيه، صلى الله عليه وسلم ـ يرى نفسه منساقا إلى الإقـرار بأن ماحققه وقام به يكاد أن يكون من دنيا غير التي يعرفها البشر ويألفون . . .

لقد استطاع محمد خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن أن يحدث ثورة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة[٩٤].

ويتابع الكاتب النصراني العربي المنصف، شهادته الرائعة فيقول :

لقد أعاد ـ أى محمد ـ الله إلى قلوب البشر، وهم الذين استبدّت الوثنية بقلوبهم مئات السنين، راحوا في خلالها يعبدون الأصنام والأشياء، أو يشركونها بعبادة الله، فأدت إلى إخراج الله من قلوبهم، بل من خواطرهم وعقولهم، وغدت بالنسبة إليهم، إرثا مقدسا، يتصل بالأبناء عبر الآباء، وبالآباء عبر الجدود حتى أبعد حلقة في السلسلة الممتدة إلى غيهب الزمان، ذاك التراث ـ أو ذاك الإرث ـ محاه محمد وأزاله بقدرة قادر، فإذا المؤمنون يموتون بل يستطيبون الموت في سبيل الله، من أجل نشر دين الله في البشر .

ـ أولئك القوم الحاصرون همومهم فى كرّ وفرّ، القاصرون نشاطهم على سبى وجناء مغانم، المنصرفون إلى الدنيا بما احتوت، المتقاتلون، المحاربون، المتباغضون، العائشون عيشة البدو والمتخلفين، ماذا دهاهم ليصبحوا، في خلال بضع سنين، قدوة ومثلا في الإيمان والتقوى، في عبادة الله

الذى لاكفوء له ولا شريك، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، المقرر المصائر، الغفور، القدير، البصير ؟

أجـل . ماذا دهـاهم حتى غدوا بشـرا يقـدسـون القيم الأخـلاقية ويغدون تجسيدا لتلك القيم؟ فإذا الزهد بالدنيا، والبـر بالعهد، والصدق والنزاهة والحلم والرفق والدعة، إلى جانب الجرأة واستطابة الموت من أجل الحق والخير، تغدو جميعهـا بعضـا ممّا اتّصف به رجال أمثال أبي بكر الصديق وعمـر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى ابن أبي طالب، وكثيرين كثيرين في تلك القافلة الفريدة في التاريخ . .

ماذا دهاهم حتى غدوا، فى خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، شعبا واحدا، بل صفّا واحدا وقلبا واحدا، وهم الذين كانـوا يصرفون معظم أوقاتهم فى الاقتتال والتنافر والتباغض لأتفه الأسباب ؟

ماذا دهاهم حتى ارتضوا ـ وهم المنتسبون إلى قبائل كثيرة خضّبت الـدمـاء تاريخ علاقاتها ـ أن يخضعوا لرجل واحد، فلا يناقشوا له رأيا ولا يعصوا له أمرا ؟ .

وأية قوى زخروا بها حتى استطاعوا، وهم الذين لم يتمرسوا إلا بقتال بدائي، من كرّ وفرّ، أن يخضعوا أعظم امبراطوريتين

بل أرقى وأعرق امبراطوريتين في سنين من الزمن معدودة ؟

ذلك الشعب البدائي ، المتخلف ، غير المستقر ، والذى لم يسبق له أن تجاوز حدود الجزيرة بل حدود مناطق ضيقة منها ، يصبح فى سنين قليلة حاملا مشعل هدى وحضارة ظل العالم يستضىء به مئات السنين ، وإذا العالم ، في ذاك الزمن ، يتطلع إلى دمشق وبغداد والأندلس والقاهرة والقيروان تطلع شرقنا اليوم إلى باريس ولندن وبرلين ونيويورك وسواها من المدن التي تتولى ، فى عصرنا الحاضر ، قيادة العالم فكريا وحضارياً .

إن تفسيرنا لهذه الظاهرة ـ المعجزة ، نوجزه بأن ذلك الشعب استسلم لله وآمن بنبيه ، بجميع مايحتويه هذان التعبيران ، الاستسلام والإيمان ، من معان ومعطيات .
تلك كانت عظمة الإسلام ، وتلك كانت عظمة محمد[٩٥] .

إن هذه شهادة حق من كاتب نصراني عربي عاش في منطقة من أبرز مناطق الصراع بين الإسلام والنصرانية . . لكنه نجح في تخطى أسوار الكذب . . والوصول إلى لب الحقيقة . . . فكانت هذه هي شهادته !!

أما صاحب «الأوائل» الأمريكي النصراني الذى جعل

محمدا «أول عظماء التاريخ» فإنه يعزو ذلك ـ بالدرجة الأولى وحسب منهجه العملى ـ إلى أن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذى نجح بشكل أسمى وبرز في كلا المستويين الدينى والدنيوى وأنه أسس ونشر أحد أعظم الأديان في العالم وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظماء، وأنه بعد مرور ثلاثة عشر قرنا لازال تأثيره قويا وعارما[٩٦].

وبالمقياس نفسه يشهد لمحمد المؤرخ العالمي الشهير «ول ديورانت» فيقول :

«وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به، وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذى سلكوه[٩٧]، فقد لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدر عقولهم، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة

الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينا سهلا واضحا قويا، وصرحا خلقيا قوامه البسالة والعزة، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم»[٩٨]

ونكتفى بهذه الشهادات الثلاث التى نعتقد أنها تصوير لبيان أثر محمد عليه الصلاة والسلام في التاريخ وفي الحضارة الإنسانية على امتداد أربعة عشر قرنا..

وما عمدنا إلى ذكرها إلاَّ لنبيّن أن محمداً الرسول (عليه الصلاة والسلام) صاحب شخصية نموذجية عظمى في التاريخ، وأن هذه الشخصية لم تكن ـ وحدها ـ في قمة السمو الإنساني لاعتبارات عاطفية إسلامية، أو من وجهة نظر إسلامية فحسب، وإنما هي كذلك بالمقاييس العامة للشخصية.. سواء في وضوحها التاريخي الدقيق، أم في تأثيرها الإنساني العام الممتد في الزمان والمكان.. وسواء في «الكمّ» التأثيرى الهائل، أم في «الكيف» النادر الأتباع الذين لم يفز بمثلهم أى عظيم في التاريخ.

وبـالتـالي يصبح بدهيا ومنطقيا ومن مسلمات التاريخ أن نقول: إن شخصية محمد ـ بكل المقاييس الإنسانية العامة ـ أعظم شخصية في التاريخ . . . .

وصلى الله على محمد النبيّ الرحيم والإنسان العظيم وعلى أتباعه وآله وسلم . . .

الهـــوامش

(١) انظر مايكل هارت : دراسة في المائة الأوائل: ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو ص١٦ . نشر دار قتيبة ط٢ سنة ١٣٩٩هـ .

(٢) انظر أبو الحسن الندوى : السيرة النبوية طبع قطر ١٣٩٩هـ ص٥٢٧ .

(٣) انظر دراسة في المائة الأوائل صفحات ٢٩٩، ٣٠٠ .

(٤) عنوان كتاب من تأليف ب . ف . سكينز ترجمة د . عبدالقادر يوسف نشر سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٤٠٠هـ .

(٥) المرجع السابق ص ٦ .

(٦) المرجع السابق ١٠، ١١ بتصرف .

(٧) انظر المائة الأوائل .

(٨) نقلا عن مصطفى السباعى : عظماؤنا في التاريخ ٨٧ .

(٩) المرجع السابق ٨٩ .

(١٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٠ .

(١١) ابن هشام السيرة النبوية ١/ ٣١٩ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد طبع مصر .

(١٢) ابن هشام : ٢/ ٩٨ ـ الطبعة السابقة .

(١٣) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٤٩٧ طبع دار بيروت ١٩٧٨م وانظر ابن كثير (الفصول في اختصار سيرة الر سول في ٢٢٨) وانظر ابن الجوزى: الوفا ٢/ ٢٧٣ .

(١٤) ابن كثير : الفصول ٢٢٨ وانظر ابن الجوزى: الوفا بأحوال المصطفى ٢/ ٢٧٣ ومابعدها .

(١٥) انظر في هذا: الحافظ ابن كثير: الفصول في اختصار سيرة الرسول ٢١٩ ومابعدها طبع دار القلم ببيروت الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ وانظر فى زوجات الرسول ـ أيضا ـ سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢١ .

(١٦) سورة القلم آية ٥ .

(١٧) انظر : الوفا بأحوال المصطفى الصفحات من ٤١ ـ ١١١ (الجزء الثاني) طبع المطبعة السعيدية بالرياض .

(١٨) البائن الطويل .

(١٩) ربعة : معتدل القامة . وقطط : شديد الجعودة، وسبط : سائل ـ والمطهم : الفاحش السمن، والمكلثم : المستدير الوجه، والاسالة : الاستطالة والدعج : الشدة في السواد، والمسربه : شعر في وسط الصدر، والمشاش : رأس العظام، والكند : الكاهل، والتكفؤ: الميل .
جامع الأصول ١١/٢٢٦ .

(٢٠) هذه رواية رزين للترمذى، وقد وردت في جامع الأصول جـ ١١ ص ٢٢٤ طبع مكتبة الحلواني تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، وقد وردت عند الترمذى بخلاف لفظي قليل .

(٢١) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ٣/٥٦ طبع الرسالة ببيروت، وهو حديث حسن أخرجه الحاكم وأخرجه ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى .

(٢٢) رواه مسلم .

(٢٣) رواه البخارى .

(٢٤) رواه الدارمى .

(٢٥) رواه الترمذى . (الشمائل) .

(٢٦) انظر الأحاديث رقم ٨٧٩٠، ٨٧٩١، ٨٧٩٢ وما بعدها من جامع الأصول والاحاديث مروية عن البخارى ومسلم والنسائي والترمذى وأبي داود، وانظر ابن سعد : الطبقات ١/٤١٠ .

(٢٧) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٧٧ ـ ٣٨٨، ٤٧٤ ـ ٤٩٢ وانظر ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى ٢/٢٧٧ ـ ٣١٤.

(٢٨) مريم ٥٤.

(٢٩) مريم ٣٠ ـ ٣٢.

(٣٠) الأنبيـاء ٧٢ ، ٧٣ .

(٣١) الأنبيـاء ٧٤ .

(٣٢) الأنبيـاء ٧٩ .

(٣٣) الأنبيـاء ٨٥ .

(٣٤) الأنبيـاء ١٠٧ .

(٣٥) سورة القلم ٤ .

(٣٦) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ ص ١١٨ (عن الزجاج) طبعة دار الكتب دار الكاتب العربي ١٩٦٧م .

(٣٧) المائدة : ١٥ .

(٣٨) رواه الإمام أحمد .

(٣٩) نصرى سلهب : فى خطى محمد ٣٦٦ .

(٤٠) نصرى سلهب ، المرجع السابق ٣٦٧ .

(٤١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٢/٤ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد .

(٤٢) الشيخ أبوزهرة: خاتم النبيين: ٢٤٢/١ طبع قطر والآية الواردة من النص من سورة التحريم .

(٤٣) محمد حسين هيكل: حياة محمد ٥٨٣ الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م .

(٤٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٦٧/١ وقد ورد في البخارى بشىء من الاختلاف .

(٤٥) المصدر السابق ٣٦٦/١ .

(٤٦) الطبقات الكبرى ٣٧٠/١ .

(٤٧) رواه البخارى .

(٤٨) ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى ٩٨/٢ .

(٤٩) المكان السابق .

(٥٠) سورة الواقعة ٣٥، ٣٧ وانظر: ابن الجوزى: الوفا ١٠٩/٢ .

(٥١) ابن الجوزى : الوفا ١٠٨/٢ والحديث صحيح .

(٥٢) رواه البخارى ومسلم وانظر ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤٦٧/١ .

(٥٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٧٣/١ .

(٥٤) ابن الجوزى : الوفا بأحوال المصطفى ١٠٦/٢ .

(٥٥) ابن هشام : السيرة النبوية ٣٦٧/٣ .

(٥٦) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ١٣٤/٤، ١٣٥ .

(٥٧) ابن هشام : السيرة النبوية ٣٢٨/٤ .

(٥٨) ابن هشام : السيرة النبوية ٤٩/٣ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد .

(٥٩) انظر عبدالرحمن عزام: فصل رحمته وبره من كتابه بطل الأبطال طبع وزارة المعارف السعودية .

(٦٠) عبدالرحمن عزام: بطل الأبطال ص ١١٠ .

(٦١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٦٤/١ طبع دار بيروت للطبع والنشر .

(٦٢) المكان السابق والحديث رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين .

(٦٣) القاضي عياض: الشفا ـ مقدمة كلامه في أوصاف النبى . وأنظر : محمد أبوزهرة: خاتم النبيين ص٢١٩ الجزء الأول طبع قطر .

(٦٤) الأنعام ١٢٤ .

(٦٥) الحج ٧٥ .

(٦٦) الأحزاب آية ٢١ .

(٦٧) الاسراء ٩٣ .

(٦٨) الكهف ١١٠ .

(٦٩) التوبة ٣٠ .

(٧٠) سليمان الندوى: الرسالة المحمدية (نقلا عن د. عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ص٤٤٦ طبع دار الانسان بمصر .

(٧١) النجم ٣ .

(٧٢) الحشر ٧ .

(٧٣) النســـاء ٨٠ .

(٧٤) شك في الحادثة المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة وقال: ان أخبار الشق لا تخلو من اضطراب، ولكن ـ في النهاية ـ وقف غير رادٍّ ولا مصدق (انظر خاتم النبيين ١/١٥٤ طبع قطر) .

وقد مال الشيخ محمد الغزالى إلى أن الحادثة من باب المجاز (انظر فقه السيرة ٦٨ الطبعة السابعة ـ مصر ١٩٧٦م) وأنا أميل إلى صحة الواقعة حقيقة .

(٧٥) محمد الغزالي: فقه السيرة ٦٧، ٢٨ الطبعة السابعة / مصر .

(٧٦) انـظر د . مصطفى السباعى: عظماؤنا في التاريخ مطابع المكتب الإسلامي ص٣٠ بتصرف .

(٧٧) د . مصطفى السباعي، مرجع سابق ص٣٠ بتصرف .

(٧٨) العقاد : عبقرية محمد (التمهيد) طبع دار الهلال .

(٧٩) د . مصطفى السباعى: مرجع سابق ٣١، ٣٢ بتصرف .

(٨٠) دراسة في المائة الأوائل ص١٩ .

(٨١) نقـلا عن : دلائـل النبـوة ومعجزات الرسول للدكتور عبدالحليم محمود ص ٤٣٣، ٤٣٤ نشر دار الانسان ـ القاهرة .

(٨٢) آل عمران ١٥٩ .

(٨٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٢٢٢ .

(٨٤) الحشر ٩ .

(٨٥) المراد: البغلة الحمراء الناعمة شبه بها زهرة الدنيا .

(٨٦) ابن هشام : السيرة النبوية ٤/١٤٧، ١٤٨ .

(٨٧) عبدالرحمن عزام: الرسالة الخالدة ٦١ طبع دار الشروق ١٩٦٩ .

(٨٨) صفى الرحمن المباركفورى: الرحيم المختوم ١٣٤ طبع رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٠هـ .

(٨٩) المرجع السابق ١٣٦ .

(٩٠) حديث صحيح أخرجه الترمذى، والحاكم، ورواه أحمد .

(٩١) الشيخ محمد الغزالي : فقه السيرة ٢١٢ الطبعة السابعة .

(٩٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٣/٢٧ ومابعدها، وانظر صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم ٣٠٤ .

(٩٣) ابن هشام : المرجع السابق .

(٩٤) نصرى سلهب: في خطى محمد ١٩٥، ١٩٦، ونصرى سهلب (نصرانى لبنانى منصف) .

(٩٥) المرجع السابق ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨ نشر دار الكتاب اللبناني .

(٩٦) دراسة في المائة الأوائل ١٩ .

(٩٧) في أيامه وبعد أيامه (المؤلف) .

(٩٨) ول ديورات: قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الرابع (١٣) ص ٤٧ ترجمة محمد بدران نشر جامعة الدول العربية .

صـدر منها :

١ - **الشباب دوره ومشكلاته :**
تأليف د. صالح الفوزان - الأستاذ شاكر سالم الدولة.

٢ - **معالم رئيسية فى مسيرة الجامعة الإسلامية**
تأليف د. عز الدين ابراهيم.

٣ - **محمد بن عبدالوهاب داعية التوحيد والتجديد فى العصر الحديث**
تأليف الأستاذ محمد بهجة الأثرى.

٤ - **توجيهات الإسلام فى نطاق الأسرة**
تأليف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركى.

٥ - **الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة فى الشريعة الإسلامية**
تأليف د. عبدالعزيز السعيد.

٦ - **السياسة الجنائية فى التشريع الإسلامى**
د. مصطفى محمد حسنين.

٧ - **الزواج فى الشريعة الإسلامية**
تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين.
والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن داود.

٨ - **حول انتشار الإسلام وقائع وملاحظات**
تأليف د. عماد الدين خليل.

٩ - **التكافل الاجتماعى فى الشريعة الإسلامية**
تأليف د. محمد بن أحمد الصالح.

١٠ - **تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران**
تأليف الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامى آل بن على.

١١ - **ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها**
تأليف صالح أحمد رضا.

١٢ - **الإرهاب والعنف فى الفكر الصهيونى**
تأليف د. إسماعيل أحمد ياغى.

١٣ - **ابن قيم الجوزية**
تأليف د. محمد الأنور السنهوتى.

١٤ ـ كيف تحفظ القرآن الكريم
تأليف الشيخ عبدالرب نواب الدين

١٥ ـ الشعوب الإسلامية ووسائل التقريب بينها .
تأليف د. مقداد يالجن.

١٦ ـ ميسرات البحث العلمي عند المسلمين.
تأليف د. محمد عبدالعليم مرسي.

١٧ ـ الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية.
تأليف الأستاذ رفيق العظم إعداد محمود رداوى.

١٨ ـ مفهوم المسرح الإسلامى والمسرح العربى .
بقلم د . عدنان محمد وزان .

١٩ ـ التغريب في التعليم في العالم الإسلامي
بقلم د . محمد عبدالعليم مرسى .

٢٠ ـ الإسلام والطفل .
بقلم د . عبدالرزاق حسين .

مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية